هجرة أهل اليمن الى السودان

بقلم /هاني عبدالحميد كرد

لقد كان لاهل جنوب شبة الجزيرة العربية(اليمن) دور مهم عبر التاريخ في العديد من المجالات التجارية وغيرها وقد كانت مناطقهم جاذبة كونها مركزا تجاريا وتوجد فيها بعضا من اشهر اسواق العرب في الجاهلية وكذلك لان جنوب شبه الجزيرة العربية غني بموارده المائية والزراعية إذا ما قيس بالمناطق الوسطى أوالشمالية من شبه الجزيرة العربية ، هذه الامور جعلت اليمن منطقة تتجمع فيها التجارة من كل الانحاء كون اليمن توجد فيها مدينة عدن كانت في تاريخها قبل الاسلام وبعده من مراكز التجارة العالمية ومحطاتها بين الشرق والغرب على مدخل البحر الاحمر الجنوبي وتعتبر أهم منفذ طبيعي على البحر العربي والمحيط الهندي وتتحكم بطريق البحر الاحمر

حيث كانوا ينقلون من الجنوب "اليمن وحوض المحيط الهندي وإفريقية الشرقية": اللبان والطيب والبخور حيث (لم يكن في الارض أكثر طيبا ولا أحذق صناعاً للطيب من عدن)(١) وينقل حسن صالح شهاب عن المرزوقي قوله (ان تجار البحر لترجع بالطيب المعمول في عدن وتفخر به في السند والهند وترتحل به تجار البر الى فارس والروم والناس على ذلك الى اليوم لايحسن عمله الا اهل الاسلام بعدن)٢ ومما ينقل ايضا من الجنوب (اليمن وحوض المحيط الهندي وإفريقية الشرقية) : الجلود وثياب عدن النفيسة(٣)

ومما ينقل كذلك توابل الهند ورقيق إفريقية والصمغ والعاج، كما كانوا ينقلون من الطائف: الزبيب، ومن مناجم بني سليم: الذهب كل ذلك كانوا ينقلونه إلى حوض البحر المتوسط، ويعودون محملين بالأسلحة والقمح والزيت والخمر والثياب القطنية والكتانية والحريرية(٤) ومعلوم ان هذا الموقع الذي تتمتع به اليمن وخاصة عدن حيث تقع بين مصر والهند جعلها ذات اهمية كبيرة لوقوعها في طريق التجارة القديم

ومن خلال هذا الموقع البحري المهم فقد قام أهل اليمن القدماء بدور التاجر والوسيط واشتهرت عدن كسوق تجاري كبير مما جعلها بمثابة حلقة الوصل بين قارات العالم القديم فكانت مرفأ لمراكب تجار الهند وبلدة التجار، فلهذا يجتمع إليها الناس ويحمل إليها متاع الهند والسند والصين والحبشة وفارس والعراق، ولهذا فقد ادركت مملكة اوسان هذه الاهمية التجارة البحرية عبر ميناء عدن واستطاعة أن تحتكر حركة التجارة البحرية وتطورت وأمتد النشاط التجاري الى ان وصل الى سواحل افريقيا حيث كانت تجارة أوسان البحرية مع أفريقيا

يقول جواد علي في المفصل : وقد استدل بعض الباحثين من إطلاق مؤلف كتاب "الطواف حول البحر الأريتري" على الساحل الإفريقي الواقع شمال "بمبا" Pemba و"زنزبار" "زنجبار" اسم "الساحل الأوساني" عليه، على أن الأوسانيين كانوا قد حكموه، ونزح بعضهم إليه فسكنه، وصار تابعًا لأوسان، ولا يمكن حدوث ذلك بالطبع لو لم يكن الأوسانيون أقوياء ولهم أرض واسعة في العربية الجنوبية ذات عدد كبير من السكان، بحيث يسمح لهم بالاستيلاء على الساحل الإفريقي. ويرجح العلماء زمان حكم الأوسانيين لذلك الساحل الإفريقي إلى ما قبل السنة "٤٠٠ق. م"٥.٣ مع أن مملكة أوسان كانت من الممالك الصغيرة إلا أنها كانت ذات أهمية؛ إذ كانت تمتلك الساحل الإفريقي الذي أشرت إليه، وتتاجر مع سكانه. وقد كان ميناء "عدن" من جملة الأماكن التابعة لهذه المملكة٤

من خلال ماسبق نستطيع القول أن طبيعة تحرك سكان(اليمن) إما مرتبط إرتباطا قويا بالتجارة في المحيط الهندي والبحر الاحمر أو مرتبط بالغزو كما اشار لذلك بعض الباحثين ، هذه الامور جعلت اليمنيين يرتبطون ببلادهما أرتباطا قويا ولم يكن البحث عن هجرات وأراضي بديلة أولوية في كل الأحوال. ويشير الدكتور الدكتور أحمد إلياس حسين في مقال له تحت عنوان (الهجرات العربية الى السودان قبل الاسلام) ان عرب الجنوب (اليمن) قد أسسوا مراكز تجارية وكانت لهم جاليات في مناطق كثيرة على سواحل المحيط الهندي ولكن ارتباطهم بالوطن الأم كان قويا، بمعني أن النشاط

---

(١)(١) الامتاع والمؤانسة (٧٧/١)

٢ عدن فرضة اليمن لحسن صالح شهاب ص٧٩ الازمنة والامكنة للمرزوقي ج٢ ص١٦٣

(٣) وَمن ظريف التَّمْثِيل بِهِ قَول أَبى على الْبَصِير لمن وعده كسَاء فأخلف
(غزل الكساء ترى من النساج من ... وبأرض عمان تطرز أم عدن) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب(٤٠٦/١)

(٤) في تاريخ الادب الجاهلي(١٦/١) تاريخ الادب في العصر الجاهلي لشوقي ضيف (٧٦)

٥ المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام (٤/ ١٥٤)

التجاري لليمنيين لم يكن وسيله للهجرة بل كان عاملا لانتعاش سواحلهم التي كانت توفر سبل الحياة والثروة اكبر بكثير مما توفره سواحل البحر الأحمر الغربية أو المناطق الداخلية لتلك السواحل. ولذلك فالعرب عبروا البحر الاحمر وأقاموا الموانى هنا وهناك على السواحل الغربية من أقدم العصور، وساهمت تلك الموانى في خدمة التجارة العالمية. ولكن لم تتكون مستوطنات أو ممالك عربية أو مراكز تجارية كثيرة علي سواحل البحر الأحمر السودانية مثل تلك التى قامت على سواحل شرق افريفيا.

فسواحل شرق افرقيا الواقعة على المحيط الهندي نجد أن العرب قد انشأوا المراكز التجارية وأسسوا الممالك قبل الاسلام في مناطق كينيا وتنزانيا الحاليتين وتركوا بصماتهم الواضحة عليها. وبالطبع فإن تأثيرهم السابق للاسلام على الحبشة غني عن البيان. ولذلك يرى الدكتور أحمد إلياس : انه لا وجه للمقارنة بين نشاط العرب على ساحل شرق افريقيا والحبشة وأنشطتهم على سواحل البحرالأحمر الغربية إذ الاثار للعرب على سواحل البحر الأحمر السودانية أو المصرية قبل الاسلام قليلة مقارنة بما هو موجود في شرق افريقيا في الحبشة وشرقي افريقيا.

ويرى البعض أن العلاقات بين العرب والسودان قبل الاسلام تم أغلبها عن طريق العبور من سواحل اليمن إلى الحبشة أولا ثم إلى السودان إما سلمية من أجل الاستقرار او من اجل التجارة أو الغزو وقد كان يتم العبور الى افريقيا عبر البحر الأحمر أو عبر صحراء سينا. وبالنسبة لعرب الجنوب (اليمن) فقد سهل مضيق باب المندب العبور بين ساحلي البحر الأحمر.

ولم توثق المصادر العربية المبكرة هجرات تاريخية قديمة لعرب الجنوب (اليمن) ألا بعد انهيار سد مأرب. وقد انتشرت قبائل الجنوب فيها داخل شبه الجزيرة والعراق والشام وافريقيا .وينقل الدكتور أحمد إلياس حسين في مقال له تحت عنوان (الهجرات العربية الى السودان قبل الاسلام) انه لم ترد أي اشارة إلى دخول أولئك المهاجرون افريقيا. والمعلومات التي وردت في المصادر العربية المبكرة عن دخول عرب الجنوب افريقيا ارتبطت فقط بغزو ملوك التبابعة لافريقيا،

بينما أحمد الحفناوي كتب عن هجرة القبائل العربية لوادي النيل قبل الاسلام ص ٤٦: وقد أشار الى هجرات قديمة لقبائل الجنوب (اليمن) حيث يقول

"في الألفي سنة قبل الميلاد هاجرت جماعات عربية من جنوب غربي الجزيرة العربية إلى الحبشة، وبلغت هذه الهجرات أقضاها في عهد دولتي معين وسبأ، وحمل المعينيون والسبئيون لواء التجارة في البحر الأحمر ووصلوا في توغلهم غربا إلى وادي النيل ... ولحق بهم عدد من أقاربهم وأهليهم."

حيث أن البحر الأحمر يعتبر من اهم الممرات الطبيعية للهجرة من الساحل اليمني إلى الساحل الأفريقي، يقول شوقي الجمل عن الهجرات عبر البحر الأحمر (العرب وبلاد السودان قبل الاسلام) حيث قال:

"البحر الأحمر بحر هادئ ضيق ولما كانت الأحوال الاقتصادية في الجزيرة العربية فقيرة وطاردة امتد نشاط العرب الى سواحل البحر الأحمر السودانية واستقر كثير من سكانها بالنوبة الشمالية واشتغلوا كوسطاء في التجارة أو في مناجم الذهب واختلط العرب المهاجرون بالسكان الأصليين وأثروا فيهم وتأثروا بهم"

والخلاصة في ذلك أن اهل اليمن كانت لهم هجرات متعددة ومتفاوتة في مراحل متعددة ابتدات بعد انهيار سد مأرب العظيم واستمرت بعد ذلك بسبب الحروب والتدخلات الخارجية ابتداءا بتدخل الاحباش ثم الفرس وهكذا الى يومنا هذا

ولعل اكثر الهجرات التي كانت من اجل التجارة والبحث عن الرزق هنا او هناك ولنا أن نبحث فيما كتب عن أهل اليمن في جنوب شرق أسيا والحبشة وغيرها من البلاد التي تنقل فيها اليمنيون وبنوا حضارات ونشروا الاسلام والسودان ليست بعيدة عن هذا الامر فالعلاقات قديمة والهجرات اليها قديمة كذلك وحديثة

وقد انصهر أهل اليمن المهاجرون مع اهل السودان وعاشوا بينهم وتصاهروا وبنوا تجارات وتأثروا بالمجتمع السوداني وأثروا فيه

وبحسب ما سمعت ورأيت ان الهجرات في السودان من اليمن وبالذات في شرق السودان هي هجرات قديمة وأخرى حديثة فهناك روايات تؤكد أن استقرار أهل اليمن كان في (بلاد البجة) أو صحراء مصر الشرقية وجعل بعضهم الهجرات والاستقرار ايضا الى بلاد النوبة

وقد حاولت أن التقي ببعض أهل اليمن من أهل السودان وقد وجدت ضالتي في احد مساجد الخرطوم اثناء القاء خاطرة قصيرة فتعرفت على مؤذن المسجد وهو الحاج أحمد عبدالله بابعير الذي أفادني ببعض المعلومات وقد قال لي العم احمد بابعير أنه يوجد في بلاد البجة قبائل يمنية من المهاجرين الذين هاجروا قديما وذكر لي أن منهم في شرق السودان قبائل قبائل الشرعاب وقبائل الشرعاب يقولون أن اصولهم ترجع إلى منطقة شرعب في محافظة تعز وكذلك قبائل بني عامر وهي قبيلة كبيرة ومنتشرة بين أتيريا والسودان

وهناك أسر من أصول حضرمية كانت هجراتها قديمة تسمى الارتيجا باشتيل وباونين وباسويدان با كويت باسودان هؤلاء هذه ألاسر اليمنية السودانية يقولون ان هجراتهم قديمة

ثم أشار العم أحمد بابعير الى بعض الاسر الحضرمية التي كانت هجراتها حديثة في بداية القرن الماضي وذكر لي بعضا منها مثل

بازرعة و با كحيل و بابعير و باعبود و باوارث و باشنين و باحيدر و باخلقي و باقديم و با خشوين و باصره و با جابر و با دويلان و با عشر و هؤلاء كلهم في اروما وهؤلاء هجراتهم خلال المائة سنة أو المائة وخمسين سنة وقد كان استقرارهم في منطقة توكر ثم انتقلوا الى اروما

ويحدثني العم أحمد بابعير عن هجرة والده عبدالله وعمه سالم قال خرجوا من قريتهم وكان الخروج في الثلاثينات من الشحر عبر البحر انطلقوا إلى المكلا ثم استمرت الرحلة قرابة شهرين إلى أن وصلوا إلى سواكن ثم من سواكن إلى توكر واشتغلوا في التجارة ثم انتقل إلى اروما لما قامت السلطات البريطانية بمد سكة الحديد الى اروما وعملت مشروع زراعي لزراعة القطن من اجل ارساله الى المصانع البريطانية وفي أروما طوروا من تجارتهم وقاموا بتاسيس أول شركة في المنطقة وتعتبر من اوائل الشركات على مستوى السودان كانت في سنة ١٩٤٧م

وقد كانت ألاسر الحضرمية لها أدوار في النهوض بالمجتمع وفي تطوير وتأسيس البنى التحتية وكان الحاج عبدالله بابعير من الواجهات الحضرمية التي كانت تحضى باحترام المجتمع والساسة حيث كان من الداعمين للحركات الوطنية السودانية السياسية منها الحزب الوطني الاتحادي يرئاسة إسماعيل الازهري وقد رأيت بطاقة رد تهنئة أرسلها اسماعيل الازهري للحاج عبدالله بابعير مكتوب فيها الى حضرة عبدالله بابعير عن الحضارم وكان اسماعيل هذا اول رئيس وزراء في السودان

يقول العم احمد عبدالله بابعير سألت والدي وأنا صغير في السن لماذا هاجرت الى هذه الارض ولم تهاجر الى الخليج وكان الخليج في بدايات نهضته فقال لي ياولدي اولا عليك أن تعرف أنه لم يكن هناك أرض للاغتراب غير السودان واندونيسيا ثم يا ولدي هؤلاء الناس أكرمونا حتى نسينا أهلنا

وقد ساهم الحضارمة في تاهيل المدارس ودعمها عن طريق مجلس الاباء الذي كان الحاج عبدالله بابعير احد اشهر رجالاته وكذلك قاموا ببناء جامع كبير لمنطقة أروما وكان الوالد عبدالله بابعير قبلة لكل من ياتي من اليمن من الحضارم وغيرهم ولعل الصور المرفقة توضح شيئ من ذلك

وأن شاء الله نحاول نكتب عن الاسر اليمنية التي كان لها دور في النهضة السودانية أو ساهمت في بناء المجتمع السوداني

صورة الوالد عبدالله بابعير

صورة من مجلس أباء أروما من اليسار الحاج عبدالله بابعير ومن يمين الصورة الحاج أحمد صالح باشنين عام ١٩٧٢م

صورة تجمع من اليمين الحاج الوالد عبدالله بابعير وبجانبه أبن السلطان عوض القعيطي الذي كان يدرس في الخرطوم وبجانبه محمد عمر باجابر وبجانبه محمد سعيد بن بشر وبجانبه سكرتير القعيطي وبجانبه عمر باقديم الصورة بداية عام ٦٠م

صورة لجامع أروما الذي بناه الحضارم

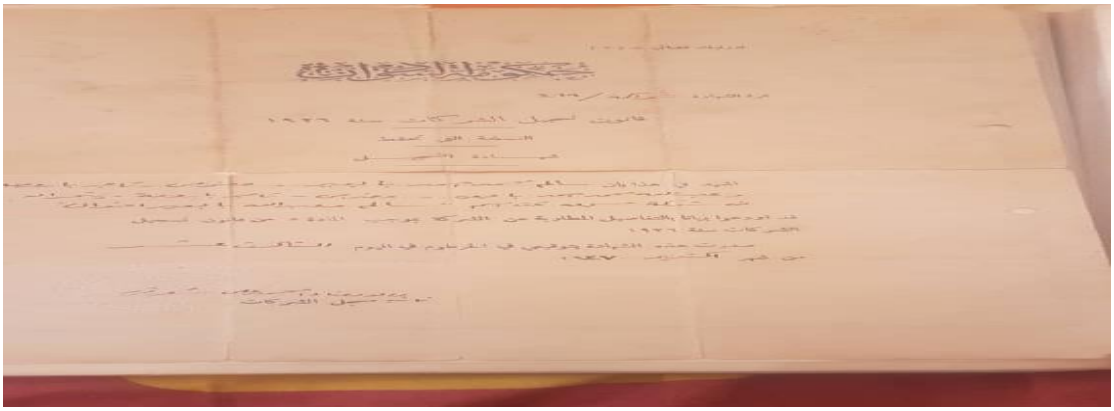

صورة من وثيقة تاسيس شركة سالم وعبدالله بابعير إخوان عام ١٩٤٧